ويعالج كلَّ ما فيهِ من عواطف ونزعات واوجاع وافراح، كل ما فيهِ من مطلب لا يوضع ومذلّة لا تباح » في جوعٍ وعطشٍ وشوقٍ وذكرى . يعالج منهُ العظمة واليأس والرفعة والشجاعة والنبل فيعرّف كلَّ ما يختلجُ فيهِ بالالحان البليغة السحّارة الاخّاذة الفتّانة

هذا شيءٌ من بتهوفن الذي يحتفي عالمُ الفنّ بمرور مائة عام على وفاتهِ في ٢٦ مارس الحالي . فهو ليس فقط كبير الموسيقيين وأطهرهم عاطفةً وأنقاهم وحيًا . ولكنهُ خصوصًا القلب الكريم المحروم وارث آلام البشر ومصائبهم وتحكّم الاقدار فيهم الذي تغلّب عليها جميعًا وانتصر بمجد العبقرية والابداع

هو بطل الابطال الذي كان اكبر من عصرهِ . فبسط من مقدرتهِ أشعةً وصيولاً ليحتضن الازمنة والاجيال في اوشحةٍ منسوجة بالزيف والانشاد

(التتمة في الجزء الآتي عن فن بتهوفن وتحليل اعظم تلحيناته) « م »

حرية الفكر ومقاومتها

وكتاب « الدولة الاموية في الشام »

قلما ظهرت حرية الفكر في امر مخالف لرأي الجمهور وتصدّى البعض لمقاومتها الاّ كانت النتيجة تعزيز ذلك الامر حتى لقد جعل بعض المؤلفين يوعزون الى اصدقائهم لينتقدوا كتبهم انتقاداً شديداً فيزيد اقبال القراء عليها

لدينا مثل واضح في الكتاب الذي الفهُ الشيخ علي عبد الرازق وموضوعهُ (الاسلام واصول الحكم) فان الانتقاد الشديد الذي لقيهُ وتألّب علماء الازهر على مؤلفهِ افضيا الى زيادة الاقبال على مطالعتهِ . ويقال ان محاكمة الاستاذ سكوبس في امير كا لتعليمهِ مذهب داروين ادّت الى الاقبال على الكتب التي تشرح هذا المذهب . ومن المحتمل ان الانتقاد الشديد الذي لقيهُ كتاب الاستاذ طه حسين في نبذة الشعر الجاهلي افضت الى الاقبال عليهِ وازدياد البحث في هذا الموضوع ولكنهُ سُحب من المكاتب التي تبيعهُ وهو يطلب الآن باضعاف ثمنهِ الاصلي ولا يوجد

في خزائن مصر والشام والعراق الوف من الكتب التي تفسد الاذواق والاخلاق ولا احد يشتاقها او يُعنى بها لا من رجال الدين ولا من رجال السياسة ولو فعلوا ومنعوا مطالعتها لاشتدّ الاقبال عليها مصداقًا لما قيل « احبُّ شيء الى الانسان ما منعا »

ولم تظهر نتيجة المقاومة لحرية الفكر في قضية من القضايا كما ظهرت حديثاً في بغداد. فقد جاءت الاخبار منها ان الكتاب الذي ألفهُ الاستاذ انيس ذكريا النصولي استاذ التاريخ والجغرافيا في دار المعلمين والمدرسة الثانوية ببغداد وموضوعهُ «الدولة الاموية في الشام» وتعرّض فيهِ لقضية الخلافة بين معاوية وعلي ففاضل بينهما وقال ان الاول اولى بالخلافة غاظ علماء الشيعة فرأت الحكومة العراقية ارضاء للخلاف وارضاء لعلماء الشيعة ان تقيلهُ من منصبهِ فدعاهُ وزير المعارف اليهِ وكلفهُ الاستقالة فرفض وقال انهُ اذا كان هناك خطأ تاريخي فهو مستعد للمناقشة فيهِ . فلم يرَ الوزير بدّاً من اصدار امر بكف يدهِ عن العمل وابلغهُ ذلك .ولما اتصل الخبر بتلامذة دار المعلمين والمدرسة الثانوية تجمهروا وحدثت مشادة عنيفة بينهم وبين رجال الشرطة قتل وجرح فيها بعض الطلبة والجنود . وحجة الطلبة انهم لم يتظاهروا ضد قرار الحكومة على فصل استاذهم النصولي وانما تظاهروا تأييداً لحرية الفكر وان الشرطة هي التي بادأتهم بالاعتداء فضربتهم ضرباً مبرحاً مع انهم لم يعبثوا بالنظام . ونشرت حكومة بغداد بياناً عن هذا الحادث جاء فيهِ :

« ترى الحكومة ان هذه المظاهرة نتيجة تحريض بعض الذين ارادوا احداث الفساد بين التلامذة اذ لم تعمل عملاً ما يؤدي الى خنق الحرية الفكرية مع العلم ان لها وحدها حق وضع مناهج التدريس واختيار الكتب المدرسية . والحكومة عازمة على اتخاذ جميع التدابير بعد انتهاء التحقيق لاحلال الالفة والنظام بين الطلاب جميعاً »

وردّ الطلبة على بيان الحكومة ببيان آخر قالوا فيهِ « انهم لم يتظاهروا الاّ دفاعاً عن الحرية الفكرية في التدريس والنشر والتأليف وان مظاهرتهم لم تكن نتيجة تحريض مطلقاً ولكنها نتيجة روح سامية كامنة في صدورهم دفعتهم الى هذه المظاهرة السلمية المنظمة»

وآخر ما جاء من الاخبار حتى كتابة هذه السطور في اواسط فبراير ان الطلاب عادوا الى تلقي الدروس والحكومة تواصل التحقيق وقد سافر الاستاذ النصولي الى بيروت مستطرداً الى سوريا

والاستاذ انيس النصولي من خريجي جامعة بيروت الاميركية وهو معروف لدى قراء المقتطف بالفصول الشيقة التي نشرناها لهُ عن «عبد الرحمن الداخل» و« فتح الاندلس» . وقد اختير حديثاً لتدريس علم التاريخ والجغرافيا في بغداد كما تقدم فالقى خطباً في تاريخ الدولة الاموية كان لها وقع عظيم عند الطلبة كما يظهر من التفافهم حولهُ وتأييدهم لهُ . وقد جمع هذه الخطب في الكتاب المذكور آنفاً وبعث الينا بنسخة منهُ وطلب منا ان ننتقدهُ . فقرأناهُ في ساعات الفراغ فوجدنا انهُ جمع ما فيهِ من امهات كتب التاريخ

العربية ، وذكر الفقرات التي استشهد بها بلفظها واشار الى مواقعها في الكتب التي اقتبسها منها . وجرى في تنسيق كلامه على اسلوب علمي منطقي تظهر نتائجهُ من مقدماتهِ واورد ذلك كلهُ على صورة تسترعي انتباه السامع والقارئ . وقد كنا ونحن نطالع الكتاب كأننا نسمعهُ يتلو الفقرة بعد الفقرة ثم يقف و ينظر الى الطلبة صامتاً كمن يستشير عقولهم في صحة الاخبار التي يتلوها عليهم او نقضها متمثلاً بقول المعري حيث قال

جاءت احاديث ان صحت فان لها شأناً ولكن فيها ضعف اسنادِ
فشاور العقل واترك غيرهُ هَدَراً فالعقل خيرُ مشيرٍ ضمهُ النادي

ولكن النتائج التي وصل اليها في تاريخ بني امية لم يكن بعضها مما يرضى عنهُ بعض علماء العراق اما لان اكثر المؤرخين الذين اعتمد عليهم من اهل السنة الذين يشيدون بمفاخر الامويين ويغمطون فضل اهل البيت او لان المقام الرفيع الذي نالتهُ مملكة العرب في عهد بني امية يستهوي الكاتب فلا يستطيع الأ ان يشيد بذكرهم . وقد جرى على ذلك بعض مؤرخي الافرنج فيما كتبوهُ من تاريخ العرب

ثم ان المفاضلة بين الرجال كثيرة الشار والحكم فيها لا يرضي ذوي الفضول مهما بالغ المفاضل في التحفظ . وحبذا لو لم يقدم عليها الاستاذ النصولي اذ لا فائدة منها ولا داعي لها ونحن في عصر يجب فيهِ جمع كلمة الشرقيين من كل الاديان والمذاهب . وحسبنا ذكر ما يفتخر بهِ من مآثر السلف واذا ذكرنا ما قصَّروا فيهِ فليكن على سبيل العبرة مع التماس العذر لهم . وليس ما يفتخر بهِ معصوراً في الفوز السياسي وفتح البلدان بل ان للاخلاق والفضائل مقاماً ارفع في حياة الامم . وكل ما قرأناهُ من الكتب العربية والافرنجية التي تذكر تاريخ الممالك الاسلامية رأيناهُ ينوّه بفضائل اهل البيت ولو خفض من شأنهم في السياسة

ونصيحتنا الآن للاستاذ النصولي ان يحذف من كتابهِ هذا وممَّا سيؤلفهُ من الكتب و يلقيهِ من الخطب كلَّ ما تشمُّ منهُ رائحة المفاضلة بين الزعماء مع الاحتفاظ بذكر الوقائع على حقيقتها المصيب منها والمخطئ اذ الغرض الاهم من التاريخ معرفة مواقع الخطإ لتجنبها ومواقع الاصابة للجري عليها . وعسى ان ترى حكومة العراق الرشيدة واهالي العراق الفضلاء ان حرية الفكر من اهم ما يحتاج اليهِ المشارقة في هذا العصر وان اظهار اغلاط اسلافهم لا يضرهم بل ينفعهم ولا يشين احداً لان العصمة لله . وان التزلف الذي جرى عليهِ اكثر المؤلفين الاقدمين قلَّب الحقائق وكان لهُ اسوأ النتائج في المحكومين وفي الحاكمين ايضاً . وان الحقيقة تظهر وتؤيد باحتكاك الافكار الحرة